

الوضع الاجتماعي في قصيدة "جرح الأمة المسلمة" - لمحمد موسى باباتندي: دراسة وصفية

بلو محمد الفاضل أكتندي

قسم اللغة العربية،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

د. عبد السلام باباتندي حنبلي

قسم اللغة العربية،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

و

ملخص البحث

تعرض شعراء جنوب بنين لكثير من القضايا الاجتماعية التي تلوث مظهرهم الإنسانية، ونقدوها نقدا موضوعيا، ثم حاولوا فيها بعض التعديلات على القيد التي بنيت عليه المروءة، وسجلوا الحوادث التاريخية الهامة بأشعارهم العربية الرائعة وبأساليبهم الفنية الساحرة. لأن العلماء هم الأدباء وهم قادة الفكر، وقد توقرت لديهم إنتاجات أدبية رائعة لكثرة العلماء والأدباء. ومع الأسف الشديد، لم يهتم الباحثون بأعمالهم ولم تعطى الحق الأكاديمي اللائق، وأصبحت الإنتاجات تضيع لسوء الحفظ كما تضيع ذكريات أصحابها. وهذا ما رآه الباحثان مشكلة علمية، وفراغا في المجال الأكاديمي، ولا يسع مقام هذا البحث تناول جميع أشعار هؤلاء الأدباء، ولذلك اكتفى الباحثان بالقصيدة المذكورة أعلاه على سبيل الاستقراء المبعوض. وقد انتهج الباحثان تحقيقا لغرض هذا العمل منهجين هما: المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي. فالمنهج الاستقرائي اتخذ الباحثان لتتابع الأمثلة الجزئية بغية الوصول إلى قواعد كلية، أما المنهج الوصفي فهو المستخدم في تحليل القصيدة المختارة وبيان خصائصها الفنية من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة. وتسهيلا لتحليل القصائد، يقوم الباحثان بترقيم أبياتهما ترقيما مسلسلا حتى تتمكن الإشارة إلى موضع المناقشة فيها. وستتم دراسة هذه القصيدة حسب النقاط التالية:

- مفهوم الشعر الاجتماعي العربي
- موقع جنوب بنين الجغرافي
- حياة الشاعر

- دراسة القصيدة
- الخاتمة

1- الشعر الاجتماعي

فالشعر يعني الأسلوب الذي يصوّر به الأديب عواطفه وأحاسيسه معتمداً في ذلك على موسيقى الوزن والقافية، وعنصري الخيال والعاطفة. وهو مرآة البيئة التي تصوّر جمالها وتسجّل أحداثها وأحوالها. (سعد: 1393 م، ص 42) وإذا اتصف بالاجتماعي (نسبة إلى الاجتماع) الذي هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية أو دراسة الإنسان في علاقته بالبيئة والمجتمع والثقافة وغيرها. (عودة: غ م، ص 19) فيكون عبارة عن المنظومات العربية التي قيلت عن بعض الظواهر والنظم الاجتماعية، والذي في طيّه وصف الحوادث المهمة، والتحديات الاجتماعية الجارفة مثل الاستقلال، والتوعية الشعبية، وغيرهما.

2- جنوب بنين

تعدّ جنوب بنين من الجهات السياسية لجمهورية بنين التي تقع في غرب قارة أفريقيا، والتي تشترك في حدودها مع النيجر، بوركينا فاسو، نيجيريا، توغو، وخليج بنين. والتي أعلنت استقلالها عن فرنسا عام 1960م، ويُعدّ نظام الحكم فيها "جمهورية رئاسي"، وكما يُعدّ "الفرنك الأفريقي" العملة الرسمية المستخدمة في البلاد. (Mawdoo: 2024:1)

ولجنوب بنين محافظات منها محافظة: ليتوال (Littoral)، وأطلانتق (Atlantique)، وكوفو (Couffo)، ومونو (Mono)، وويي (Oueme)، وبلاتو (Plateau)، وذو (Zou). وفي هذا الأقليم أيضا مدن كثر فيها العلماء، وتوافرت فيها الحركات العلمية منها: كوتونو (Cotonou)، وساكي (Sakete)، وبوتونوفو (Porto novo)، وكيتو (Ketou)، وأبومي كلافي (Abomey Calavy)، و بوبي (Pobe). (Official Document : 2018: 2).

3- مناسبة القصيدة

نظم الشاعر هذا القصيدة يوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام 1418هـ عنأزمة الهجوم والتعدي على الحقوق التي كانت تواجه المسلمين بجمهورية بنين من قبل أعداء الدين. (بابائندئ، 1418هـ، ص 1)

4- نبذة يسيرة عن حياة الشّاعر

أ- ولادته وتعلّمه

هو محمد موسى بَابَاتُنْدِي، ولد بمدينة أَجَاوِيرِي، جمهورية بنين، عام 1974 م. نشأ وترعرع فيها تحت رعاية والده. تعلّم اللغة العربية والدّراسات الإسلامية في مركز التعليم العربي الإسلامي سَاكِيَّيْ- جمهورية بنين، وحصل بها على الشّهادة الثّانوية عام 1995 م، ثمّ التحق بكلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، وحصل على البكالوريوس في الشريعة، عام 2003 م والتحق بعد ذلك بالمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ونال بها على الماجستير في الشريعة عام 2006 م، ثمّ حصل على الدكتوراه بالمعهد نفسه عام 2017 م. (باباتندي 2024 م)

ب- مؤلفاته

للشّاعر بحوث أكاديمية وكتب علمية مؤلفة في مختلف الفنون العلمية القيمة منها:

- الأسباب المادية للفساد الإداري وأساليب العلاج دراسة مقارنة، بحث مقدّم إلى قسم السّياسة الشّرعية، بالمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الشريعة عام 2006 م.
- عقد المعاونة الإداري دراسة تأصيلية مقارنة، بحث مقدّم إلى قسم السّياسة الشّرعية، بالمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدّكتوراه في الشريعة عام 2017 م.
- الأناشيد المدرسية في مزايا الحنيفية.
- التنافس المثمر. (باباتندي 2024 م)

5- دراسة القصيدة

أ- نصّ القصيدة

1- إذا لم يك الإنسان للدين يعرف *** وقاراً فإنّ القلب لا ريب أجوف

- 2- ولا خير في الدنيا إذا دينها انقضى *** وأهل الحنيف الحق والأرض تأسف
- 3- وما الكون إلا الدين والبر والتقوى *** فلو لم تكن فالخير ما كان يعرف
- 4- ألم تر أن الأرض تحيا بربها *** ويهدى بضوء النور والليل مسدف
- 5- إذا صاحب النفس المآسي تألمت *** كجرح جريح إذ به العضو يضعف
- 6- على أمة الإسلام حزني سياجها *** مهان بذل وهو من قبل يُكنف
- 7- ودبت إلى أجوافها فتنة العدى *** لها لسعة في العرق تجري وتزحف
- 8- وظلت رياح الجور تجتاح عزها *** بأركانها للحق والعلم تعصف
- 9- فضقت بها أرض الإله برحبها *** بشر الأذى ممن عن الحق يصدف

10- وما ذاك إلا أن أطاعت إلهها *** وبالهدي عن خير البرية تشرف

11- فلا نصر إلا بالثبات على الهدى *** ولا ريب أن الكرب بالله يكشف

(بَابَانُنْدِي، 1418هـ، ص 1)

ب- مضمون القصيدة

استهل الشاعر هذه القصيدة بتوعية إسلامية حارة حيث بدأ ينفي الإيمان عن كل من لم يوقر في الإسلام، ولم يسلم لأوامر الله، وهويرتكب الجرائم والفواحش التي لا يتماشى مع الإيمان الصحيح، مثل الظلم، والزور، والسرقعة، والزنا، وغيرها، وذلك يحقق ما قاله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حديثه حيث يقول: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن" (البخاري: 6782) ثم نفي بعد ذلك خيري الدنيا والآخرة لمن فقد الألوهية والتدلل والتسليم لله عز وجل وأقرهما لمن أثبت ربوبية الله بالخلق والرزق، وتدير شؤون الحياة الدنيا والآخرة.

ثم أظهر تحسره وتأسفه من البيت الخامس إلى البيت الثامن لما يصيب المسلمين من مصيبة، ولما تواجههم من تحديات صادرة من ضعف قوتهم وقلة حيلتهم وتشتمهم التي تفتحت خلالها فرجة لتسلل الأعداء بين صفوفهم موقدين نار الخلاف، والفتن والعذاب في ديارهم بالوقت الراهن.

واختتم الشاعر هذه القصيدة بإشارته إلى أن الظلم والجور والخديعة بين المسلمين يضعف رباط الأخوة الإيمانية ويقوي مكائد الشيطان وإخوانه من أعداء الدين، وقد يوقع ذلك الضيق والويل ضد نشر الدين الحنيف ومعالمة، فبذلك يسبب للإنسان سخط الله وعذابه يوم القيامة، يقول رسول الله صلى الله

عليه وسلّم فيما روى عنه جابر: "اتقوا الظلم، فإنّ الظلم ظلّمت يوم القيامة" (مسلم، 2578). ثمّ التجأ واستنصر بطاعة الله والثّبات على دينه، متيقّناً أنّ الضّيق والكرب ينفرجان إذا العبد أناب إلى مولاه.

ج- الملامح الفنّية في القصيدة

• العاطفة

تعتبر العاطفة من الركائز التي يعتمد عليها الشّعر العربي الجيّد، ومن صفاتها القوة والصدّق. وقوّة العاطفة بنسبة هذا الشّاعر تتمثّل في بعض تعبيراته الحارّة التي تنذر بها الأمة عن خطر الإعراض عن أمر الله والميل إلى زخارف الدّنيا الفانية. يقول الشّاعر:

- 1- إذا لم يك الإنسان للدين يعرف *** وقارا فإنّ القلب لا ريب أجوف
- 2- ولا خير في الدّنيا إذا دينها انقضى *** وأهل الحنيف الحقّ والأرض تأسف
- 3- وما الكون إلّا الدّين والبرّ والتّقى *** فلو لم تكن فالخير ما كان يعرف

ويتمثّل صدق العاطفة في أنّ الشّاعر شاهد بعض الحوادث التي تحقّق تسلّلاً لأعداء بين المسلمين وتجريح قلوبهم، ويصف ذلك تماماً كما حدث، وفي وصيته للمسلمين بالثّبات على الدّين ليديم لهم العون والنصر. ويقول:

- 5- إذا صاحب النّفس المآسي تألمت *** كجرح جريح إذ به العضو يضعف
- 6- على أمة الإسلام حزني ساجها *** مهان بذلّ وهو من قبليكنف
- 7- ودبت إلى أجوافها فتنة العدى *** لها لسعة في العرق تجري وتزحف
- 8- وظلّت رياح الجور تجتاح عزّها *** بأركانها للحقّ والعلم تعصف

11- فلا نصر إلّا بالثّبات على الهدى *** ولا ريب أنّ الكرب بالله يُكشّف

• الأسلوب

يعدّ الأسلوب طريقة الأديب في اختيار ألفاظه وتأليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير. (الشّايب: 1998م ص 44). لاحظ الباحثان أنّ الشّاعر باشر غرض شعره بدون الوقوف على الإطلال كعادة الشّعراء القدامى، وذلك هو الأسلوب المشهور لدى الشّعراء الاجتماعيين. وقد اختار هذا الشّاعر ألفاظاً سهلة في بنية القصيدة وفي سرد أفكارها. وراعى دقة المناسبة بين اللفظ وموقعه، ولم يسرف في استعمال الكلمات،

بيد أنه اختصر في رواية الحوادث ولم يدقق، حتى يفهم القراء مامقصوده بجرح الأمة، ولقد أحسن في زهده عن استعمال الصّور البيانية كعادة الاجتماعيين إذا كانوا دائماً في محاولة الإقناع. يقول الشّاعر:

- 6- على أمة الإسلام حزني سياجها *** مهان بذلّ وهو من قبل يُكنف
- 7- ودبّت إلى أجوافها فتنة العدى *** لها لسعة في العرق تجري وتزحف
- 8- وظلّت رياح الجور تجتاح عزّها *** بأركانها للحقّ والعلم تعصف
- 9- فضقّت بها أرض الإله برحبها *** بشرّ الأذى ممن عن الحقّ يصدف

• قاموس الشّعر

يرى الباحثان أنّ صاحب هذه القصيدة اختار من الكلمات أدلّها على إحساسه وأهداها إلى تحقيق مراده، لم نشعر منها غرابة ولا تعقيد، وهو موفق في اهتدائه إلى الكلمات التي كانت شديدة الإبانة عمّا يريد، فكلّمة "الأجوف" في البيت الأول تعني "التافه" أي "الصفّر" وكلّمة "الحنيف" في البيت الثّاني بمعنى "الإسلام" وكلّمة "الجور" أي "الخدّية" في البيت الثامن، وكلّمة "الثبات" في البيت الحادي عشرة تعني "الاستقامة" وقد أصبحت هذه الكلمات ملائمة في المواضع من وجهة الوزن والصّوت لاختلافها مع مرادفاتِها في التّفعلات. أما كلّمة "أجواف" أي "أوساط" في البيت السّابع، وإنما اختيارها إبراز لتوفر المترادفات لدى الشّاعر، فكلتاها تناسبان الموضوع. فكلّمة "رياح" في البيت الثامن بمعنى "العواصف"، اختارها الشّاعر لغرضي الصوت والبلاغة، فرياح الجور أبلغ تخويفاً.

• الوحدة الموضوعية في القصيدة

من خصائص هذه القصيدة انتظام عباراتها انتظاماً ينسّق فيه أولها مع آخرها، وقد استهلّ الشّاعر بالتوعية ثمّ تخلّص إلى تحسّره وتأسّفه من أحوال المسلمين، وانتقل إلى التّوصية بلباقة وحنق ولم تنقطع أجزاء القصيدة بل تقاربت أفكارها إلى أذهان سامعيها. وذلك حسب معيار النّقاد الذي شبّه أبيات الشّعر بخلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر بدا بالجسم عاهة. (الشّايب: 1998م، ص44). يقول الشّاعر:

- 1- إذا لم يك الإنسان للدين يعرف *** وقارا فإنّ القلب لا ريب أجوف
- 6- على أمة الإسلام حزني سياجها *** مهان بذلّ وهو من قبل يُكنف
- 11 - فلا نصر إلّا بالثّبات على الهدى *** ولا ريب أنّ الكرب بالله يُكشّف

• الذّوق البلاغي

اقتصد الشّاعر في استعمال الصّور البلاغية في هذه القصيدة لكونه مخاطباً للعقول ومحاول الإفهام والإقناع . ومع ذلك لاحظ الباحثان بعض الصّور البيانية التي استعملها توضيحاً لأفكاره وتحسيناً لعباراته ، مثل:

١- التّشبيه المجمل

نموذج التّشبيه المجمل في البيت (5) قوله: " كجرح جريح إذ به العضو يضعف " شبّه المستضعف في عقره دياره بالجريح في جسمه، وذلك في الحزن والإيلام. وبلاغة هذا التشبيه الإيجاز.

٢- المجاز اللغوي

مثال المجاز اللغوي في البيت (8) قوله: " وظلّت رياح الجور تجتاح عزّها "، فكلّمة "رياح" مستعملة في غير موضعها، فعلاقتها مشابهة وهي في الكثرة والانتشار، والقرينة نسبتها وإضافتها إلى الجور. وبلاغة المجاز أيضاً الإيجاز.

٣- الخبر

هذه القصيدة تمثّل منظوماً خبرياً، فجّل أبياتها إخباراً عن أحوال شعب معيّن، وقد سرد الشّاعر هذه

الأخبار بضرابين اثنين هما : الابتدائي والتّقرير، فالابتدائي في مثل قوله:

7- ودبّت إلى أجوافها فتنة العدى *** لها لسعة في العرق تجري وتزحف

8- وظلّت رياح الجور تجتاح عزّها *** بأركانها للحقّ والعلم تعصف

9- فضحّت بها أرض الإله برحبها *** بشرّ الأذى ممن عن الحقّ يصدف

وأما التّقرير في حالة المتردّد وذلك مثل قوله:

4- ألم تر أنّ الأرض تحيا برّبّها *** ويهدى بضوء النّور والليل مسدّف

10- وما ذاك إلّا أنّ أطاعت إلهها *** وبألّهدي عن خير البريّة تشرف

11- فلا نصر إلّا بالثّبات على الهدى *** ولا ريب أنّ الكرب بالله يُكشّف

٦- الطباق

جمع الشّاعر بين كلمة وضدّها في بعض عباراته، مثل قوله: " ويهدى بضوء النّور واللّيل مسدّف " والجمع بين الليل والنّهار طباق إيجابي.

7- القصر

ومن الصّور البديعية الملحوظة في هذه القصيدة القصر، حيث حصر الشّاعر بعض الصفات لشخصيات معيّنة مع تفضيله أسلوب النفي والإثبات وأسلوب التّقديم ما حقّه التّأخير، يقول الشّاعر:

3- وما الكون إلّا الدّين والبرّ والتقى *** فلو لم تكن فالخير ما كان يعرف

10- وما ذاك إلّا أن أطاعت إلّها *** وبالهدي عن خير البريّة تشرف

11- فلا نصر إلّا بالثّبات على الهدى *** ولا ريب أنّ الكرب بالله يُكشف

6- على أمة الإسلام حزني سياجها *** مهان بذلّ وهو من قبل يُكنف

• الظواهر العروضية

يلاحظ الباحثان أنّ موسيقى هذه القصيدة تتمثّل في الوزن والقافية المختارين لدى الشّاعر، فقد نظمت القصيدة على منوال البحر الطّويل المقبوض العروض والضّرب، والبحر الطّويل عبارة عن تفعيلتين متكرّرتين أربع مرات هكذا:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن *** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

للطّويل عروض واحدة مقبوضة "مفاعلن" وثلاثة أضرب: تامّ "مفاعيلن" مقبوض "مفاعلن" ومحذوف "مفاعي" فيصير "فعولن". (عتيق: 2000 ص25)

بنى الشّاعر هذه القصيدة على حرف الفاء وهي إذن قصيدة فائية. ونذكر بامعان النّظر في هيكل أبيات القصيدة أنّ الشّاعر قد بذل جهداً جبّاراً في إحكام بنائها، ومع ذلك تظهر في بعضها ضرورات شعرية لا بأس بها مثل تسكين المتحرّكة الساكن نحو كلمة "وهو" في البيت السّادس قوله: " مهان بذلّ وهو من قبل يُكنف ". ويلاحظ أيضاً

الزحاف المفرد في بعض الأبيات مثل القبض في كلمة "كجرح" على وزن "فعول" في البيت الخامس، قوله: "كجرح جريح إذ به العضو يضعف".

6- الخاتمة

خلال هذه الجولة الأكاديمية أثبت الباحثان توفير الأشعار الاجتماعية العربية لدى العلماء في جنوب بنين، وأبرزوا بعض أساليبهم في نظم القريض، وسرد الأفكار. وقد حاولا في شرح مضامين القصيدة المختارة، وتوضيح أساليب صاحبها الفنيّة مع ذكر المناسبات التي قيلت فيها. فكان بذلك مدخر الكنوز الثمينة للدارسين. وعبر هذه المحاولة الأكاديمية سجّل لنا الباحثان الوقائع الاجتماعية التاريخية الهامة التي تتعلّق بحياة إقليم جنوب بنين السّياسية، وأبرزوا الخصائص التي تميزت بها أشعار أدبائها المختارة. وسيكون البحث إذن مرجعا من المراجع المهمة للإنتاجات الشعريّة الاجتماعية في الإقليم، كما يكون مصدرا من المصادر الصّادقة لسير أصحابها الدّاتية. ويقترح الباحثان لللاحقين أن يتناولوا الجوانب الأخرى من الأغراض الشعريّة التي توقّرت لدى الشعراء في ذلك الإقليم في بحوثهم العلمية، وينشروها لتعمّ المنفعة.

المراجع

- ابن جني عثمان (١٩٨٩م) كتاب العروض، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

- الجرجاني، أبوبكر، (غ م) كتب أسرار البلاغة، دار المدني بحدة.

- الشرقاوي حسن إبراهيم، (غ م) مناهج البحث الأدبي، القاهرة، جامعة الأزهر.

- الشّايب، أحمد، (1998م) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية،

القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

- النّووي، يحيى بن شرف (1997م) رياض الصّالحين، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان.

- الهاشمي، أحمد (١٩٩٥م) ميزان النّهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

- إبراهيم، علي أبو الخشب (1978م) في محيط النقد الأدبي، دار النهضة العربية،

بيروت.

- باباتندي، محمد موسى (1431هـ) المخطوطة.

- باباتندي، محمد موسى (2024م) المقابلة الاستفسارية.

- جمهورية بنين <https://mawdoo3.com> visited on 2/1/2024

- موقع جمهورية بنين <https://e3arabi.com> visited on 2/1/2024

- سعد حسين وزميله (١٣٩٧م) الأدب والنصوص والبلاغة، الجزء الأول، دار الكتب

الوطنية - بنغازي، الجماهيرية العربية الليبية.

- شوقي، ضيف (غ م) في النقد الأدبي، القاهرة، دار المعارف. -

- عتيق، عبد العزيز (2000م) علم العروض والثقافية، دار الأفاق العربية، القاهرة.

- علي الجارم (١٩٩٨م) البلاغة الواضحة، دار المعارف

- محمود، عودة (غير مؤرخ) أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة

والنشر، بيروت.

- "Facts About the Republic of Benin: Official Document", www.africa.upenn.edu, Retrieved 18-11-2018. Visited on 2/2/2024.